اللغة العربية فى التعاون العربى العربى والتعاون العربى الدولى

إعداد: د. عاطف نصار

مقدمة:

شأن اللغـات أن تربط بين البشر، وهذا يسمـونه فى علوم الإدارة الاتصال، وبهذا المفهـوم فإن اللغة تكون أداة للاتصال بين البشـر فى نطاق الأمة الواحدة أو الشعب الواحـد أو المجموعة الواحـدة، والاتصال هنا أداته الكلمة بأنواعـها حرفًا وفعلاً واسمًا ومختـصرات بأنواعها، إشارات وضمائر وأصوات، وشأن اللغات على هذا النحو أن تقيم التعارف بين البشـر أممًا وجماعات فيما يعرف باسم الترجمة، وتبادل تعلم اللغات سبيلا إلى تبادل المعرفة والمعلومات والمنافع بأنواعهـا. هذه حقائـق مقررة اتخـذتها اللغة العـربية عـقيدة راسـخة بنص من القرآن الكريم جاء فى التنزيل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ومن آياته خلق السـموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾ [سورة الروم : ٢٣] وجاء فى التنزيل : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكـم شعوبًا وقـبائل لتـعارفوا ﴾ صـدق الله العظيم [سورة الحـجرات : ١٣]، وهكذا تقـرر الآية الأولى اخـتلاف الألوان والشـعـوب والألسن أى اللغات، وتقـول الآية الثانيـة بالتعارفـية، ولا تقوم التـعارفيـة بطبيعـة الحال إلا بالنقل بين اللغـات، وتكون قوة الدفع فى هذا كله هى التـعاون على المسـتوى الرأسى فى نطاق الأمة الواحدة، وعلى المستوى الأفقى امتدادًا للأمم جميعًا.. وهذا هو ما تتناوله هذه الورقة.

أولا: التعاون العربى العربى :

يُكوِّن التعاون العربى فى نطاق اللغة العربيـة الهوية العربية والاهتمام بهذه

اللغة سبيلاً إلى الاتصال وقدح الفكر وتبادل التجارب والخبرات والمعارف والمنافع والإبداع، وهو الأمر الذى حدث عبر تاريخ الأمة العربية، وإن تأرجح ذلك بين الانخفاض والارتفاع، وهذه هى أولى مقومات الهوية العربية التى حافظ عليها القرآن الكريم لأن اللغة العربية هى اللغة الوحيدة بين اللغات جميعًا والتى تُستعمل فى العبادة والمعاملات.

وإذا كانت اللغة العربية هى صانعة الهوية على هذا النحو باعتبارها لغة فكر وإبداع ومعاملات وعبادة وسياسة، الأمر الذى يقررها بالتالى لغة للعلم والتعليم فإن هذا من شأنه أن يجعل منها دعمًا أساسيًا لتوحيد الناطقين بها فهى لغتهم الموحدة، وهى لغتهم الموحدة وهى بالتالى لغتهم الموقرة بين الأمم باعتبارها لغة لنسبة كبيرة من سكان المعمورة يتكلمها أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة ويتعبد بها أكثر من مليار نسمة يكونون خُمس سكان العالم. ولغة على هذا النحو قيمة وتاريخًا وتراثًا وفكرًا ودينًا وإبداعًا وتعدادًا لا بد أن يقوم عليها تعاون وثيق بين الناطقين بها، وهذا ما نعنيه بمصطلح التعاون العربى العربى فى مجال اللغة لسان العرب ولسان العبادة للمتعبدين بالإسلام الحنيف.

وليس التعاون العربى العربى الذى ننشده شيئًا جديدًا على الساحة العربية، فإن هذا النشاط قائم بالفعل من خلال مؤسسات قطرية تشمل بطبيعة الحال المؤسسة التعليمية وبعضًا من المؤسسات ومراكز البحث العلمية، لكن هذه المؤسسات تحتاج إلى ربط قوى وتخطيط متكامل على المستوى الحكومى والإقليمى والأهلى حتى لا تكون بمثابة جزر منعزلة ضعيفة الأثر، ضعيفة الإمكانات، ونذكر من هذه المؤسسات على سبيل الاسترشاد والمتابعة والاستنهاض ما يلى:

- مجامع اللغة العربية.
- الجمعيات الأهلية.
- مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

- المؤسسات الدينية.
- المؤسسات التعليمية.

ثانيًا: التعاون العربى الدولى :

لا تعيش اللغات فى عزلة: اللغات تحمل فى كياناتها جذور التعارفية الدولية. ويقاس تقدم الدول وحيويتها بنشاطها فى عمليات الترجمة والنقل من اللغات الأخرى وإليها. تشهد بذلك حركة التجارة بين الدول ويشهد بذلك أيضًا الخرائط التى نبغ العلم فى تاريخ مبكر فى رسمها للعالم ومناطقه وتضاريسه ومناخه ويابسه ومائه ومحاصيله وثرواته من كل نوع وجنس، وتشهد بذلك خرائط الطرق البرية والبحرية التى ربطت بين العالم وربطت بالتالى بين لغات هذا العالم، وأقامت تعاونًا وثيقًا من خلال التعارفية اللغوية البشرية وتحقيق حلم الإنسان المثالى فى المدينة الفاضلة ويُصَدِّق على هذا أن الله - سبحانه وتعالى - خلق الإنسان من نفس واحدة وخلق منها زوجها وجعل منهما رجالاً كثيرًا ونساءً، ومن شأن ذلك بطبيعة الحال أن يجعل فى التعارفية سعادة وحياة لبنى الإنسان، وهكذا أمة العرب فهم أهل دين وعلم وحضارة، وهم خير من احترم شق الطرق وتسيير القوافل، وهم الذين أعادوا إلى طريق الحرير مجده ونشطت من خلاله اللغات والتجارة على طول امتداده من جبال البرانس فى أسبانيا غربًا إلى بلاد الصين شرقًا.

التعاون بين الأمم تقوم به التعارفية اللغوية، ويبدأ عصر الإحياء دائمًا بنشاط هائل فى الترجمة وتبادل تعلم اللغات، وتبادل التجارب البناءة لهذه الثروات، ولقد تأخرت الدول الناطقة بالعربية كثيرًا فى هذا المجال، وفى تقديرنا أنه يمكن دائمًا إدراك ما فات من خلال التعاون والتخطيط وتوحيد الجهود وتجميع الإمكانات وهى غنية بحمد الله على المستوى العربى المتكامل ومن حسن الحظ أنه قامت مؤسسات عربية إقليمية تسعى إلى تحقيق هذا الهدف، ومن حسن الحظ أيضًا أن هناك مؤسسات ووكالات دولية تعمل من

أجل تنشيط التعاون فى هذا المجال أيضًا مثل مؤسسة اليونسكو والهيئات التابعة لها. ويذكر من هذه الهيئات الإقليمية والدولية التى اندرجت اللغات تحت عباءة اهتمامها المنظمات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

- جامعة الدول العربية.
- المنظمة العربية للعلوم والثقافة.
- المنظمة العربية الإسلامية للعلوم والثقافة.
- اتحاد المجامع العربية.
- هيئة اليونسكو.
- منظمة الصحة العالمية.
- الجامع الأزهر (الجامع والجامعة).

ونستطيع القول دون مبالغة أن هناك بنية هيكلية إقليمية ودولية يمكن أن تساعد فى تنشيط التعاون العربى الدولى فى مجالات رعاية اللغة وتنمية استعمالها فى الحياة العلمية والعملية، كل ما هناك أن الوعى بهذه الضرورة الملحة ما زال محدودًا ينبغى أن يتضاعف ، خاصة أن انحسار استعمال اللغة العربية فى الحياة التعليمية والعلمية والعملية والإعلامية أصبح يشكل ظاهرة خطيرة أبرزها التسلل الدخيل وضعف حركة التأليف والترجمة، بالرغم من الاعتراف الدولى بالعربية لغة عالمية، كما أن جهود البحث والإبداع اللغوى تعانى بشدة من نقص الترويج والحوافز الأدبية والمادية بالرغم مما يُنفق على بنودٍ أخرى أقل حجمًا فى التأثير والعائد الموسمى والأمنى.

ثالثًا: آفاق التعامل بين الجمعيات الأهلية والمنظمات الحكومية:

لعله يتضح من العرض السابق أن آفاق العمل تكاد تكون محصورة بين المنظمات الحكومية، والمنظمات الإقليمية والدولية، والمنظمات الأهلية غير الحكومية، وقد برزت بقوة فى مغرب القرن العشرين، ومطلع الألف الميلادية

الثالثة الإمكانات الهائلة غير المحدودة للجمعيات الأهلية غير الحكومية، فأصبحت طرفًا فاعلاً فى أنشطة التنمية القطرية والإقليمية والدولية، وأصبحت الجمعيات الأهلية غير الحكومية عضواً حاضراً فى كافة المحافل الدولية لا يمكن أن يغيب بحال من الأحوال. اعترفت به المنظمات الدولية والإقليمية ووكالاتها، وشمل كافة مجالات التنمية والتعاون، وشملت مؤخراً رعاية اللغات بما اصطلح عليه باللغة الأم فى عيد اللغة الأم الذى بدأ أول احتفال به عام ٢٠٠٠يوم ٢٢ فبراير من كل عام. ويمتد الاهتمام إلى رعاية اللغات وجوار اللغات والنقل بين اللغات. ولعل تنامى هذه الظاهرة ظاهرة التعاون والإيلاف وحسن الجوار وتبادل تجارب تنمية ورعاية اللغات ينتقل بشدة فاعلة إلى أهل اللغة العربية، ويشد الجسور والاتصال بين هؤلاء الأهل بعضهم لبعض. وبين هؤلاء الأهل وغيرهم من الأمم، ولعلنا ننوه بشدة إلى عدد من المؤسسات الأهلية غير العربية التى ينبغى أن تمتد الجسور بينها وبين المؤسسات الأهلية العربية، وأما المؤسسات الأهلية غير العربية فهى على سبيل المثال، إذ يتطلب الأمر حصرا شاملاً واسعًا لم يسعفنا به الوقت والإمكانات حتى الآن، وكلها تعمل فى رعاية اللغة بين أهلها الناطقين بها وغير أهلها غير الناطقين بها:

- معاهد جوته الألمانية.
- مراكز الثقافة الفرنسية.
- معاهد ومراكز المجلس البريطانى.
- جمعيات اللغة الإسبانية «سبانستا».
- مراكز دانتى لتعليم اللغة الإيطالية.

أما الجمعيات الأهلية العربية فهى حتى الآن:

- الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية (الجزائر).
- جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية (القاهرة).
- الجمعية المصرية لتعريب العلوم (القاهرة).
- جمعية حماة اللغة العربية (القاهرة).
- جمعية حماية اللغة العربية (الشارقة).
- جمعية حماية اللغة العربية (الرياض).

الخاتمة

هذه ورقة لا نستطيع أن نقول بأنها تتحدث عن التعاون العربى العربى والعربى الدولى فى مجالات رعاية اللغة العربية فهى تنبيه أو مقدمة لذلك، وهى محاولة لوضع عدد من عناصر البحث، واحتمالات العمل على المستويات الحكومية وغير الحكومية، وتنشيط دور المنظمات غير الحكومية والربط بينها وبين المنظمات الإقليمية والدولية، والحكومية القطرية وتقوم جمعية لسان العرب حاليًا بالإعداد لمؤتمر حول الموضوع بأكمله يعقد فى مقر الجامعة العربية فى نهاية أكتوبر هذا العام ٢٠٠٢م.